

استقبال أعضاء
لجنة الفلاحة والإصلاح الزراعي والثروة الحيوانية

استقبل صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، الذي كان محفوفا بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير سيدي محمد، بالقصر الملكي بمراكش أعضاء لجنة الفلاحة والإصلاح الزراعي والثروة الحيوانية بمجلس النواب وترأس جلالته جلسة عمل معهم.

وبهذه المناسبة ألقى العاهل الكريم الكلمة التالية:

حضرات السادة:

لا أحد في المغرب يجهل تعلقنا بالفلاحة ورجال الفلاحة. و هذا التعلق بالفلاحة ما هو في الحقيقة، من طرف المغاربة كلهم إلا انعكاسا لتلك الوثنية الوطنية التي تجعل الرباط والارتباط بالأرض من المقدسات التي ورثناها أبا عن جد في هذا البلد الميمون.

وقد أردنا أن نجتمع بكم ــ أنتم أعضاء اللجنة الفلاحية في البرلمان ــ لننظر معكم في ما يجب أن يتخذ من تدابير عاجلة وتدابير مستقبلية لتلافي ما يمكن أن يكون لتأخر نزول الأمطار من نتائج وخيمة على جميع المستويات في العالم القروي؛ لأن العالم القروي كما تعلمون - حفظكم الله - ليس معناه العالم الفلاحي فقط، بل إن العالم القروي هو قبل كل شيء، الأسرة التي تعيش إما مباشرة من البادية أو بكيفية غير مباشرة منها، وهنا نرى أنه يجب إدخال نوعيات متعددة من البشر حتى نتمكن من إعانة كل نوعية من النوعيات بما يجدر بها وبما يكون ملائما لها. فالعالم القروي فيه الفلاحون الكبار والمتوسطون والصغار وفيه أيضا مربو الماشية من كبار ومتوسطين وصغار، وحتى في الماشية هناك أنواع من نشاط الماشية إما للتربية فحسب، أو للتربية والتسويق في آن واحد.

وفي عالم البادية هناك جميع الذين ينتعشون بالأنشطة المختلفة لأهل البادية وهناك كذلك في البادية أنواع وأنواع من الفلاحة منها ما هو موجود بالساحل ومنها ماهو موجود بالأراضي الصحراوية ومنها ما هو مطابق ومناسب للمساحات السقوية وفيها أيضا ما هو جبلي وما هو غلل وما هو حبوب وما هو بواكر وما هو خشب وحطب وفيها ما هو كلأ ومرعى، بحيث إذا أردنا أن نعدد أنشطة الفلاح ومن يعيش مباشرة من خيرات الفلاحة ومن يعيش منها وبكيفية غير مباشرة، نرى أن السجل سيضيق، ولكن نرى كذلك أن المهمة جد واسعة الأطراف ومتعددة النوعيات ومختلفة التدخلات. لا أقول نظرا لهذا الحجم أنها مستحيلة، أبدا، بالعكس. يجب علينا في حالة الجفاف هذه، أن نولي اهتمامنا الأكبر والأول لحالة البادية لأننا اجتزنا - كما تعلمون - سنوات عجاف ومع ذلك رأينا أن هناك سيولة من الخيرات المغربية ولكنها غير ظاهرة ونسميها السيولة الباطنية مثل بعض الأودية وبعض الأنهار الباطنية الخفية. وذلك الاقتصاد الخفي الباطن الذي لم يكن يرى ولم ترده الدولة ولم يكن يمكن للدولة أن تريده يوما من الأيام، لا نريد أن نعرف ما هو ومن أين أتى ولمن يأتي لأن ذلك التيار الباطني أو غير المرئي هو الذي مكننا من أن نصبر مدة السنوات العجاف.



زد على هذا بـالطبع ، أنه لدينـا سياسية السـدود التي أظهرت ـ ولله الحمد ـ أنها هي السياسة الوحيدة التي يمكن بها للمرء الواعي بمشاكل التغذية وبـالإكتفاء الذاتي والواعي بمشاكل الديمغرافية أن يسير عليها . إن كل سيـاسة فلاحية اقتصـادية لا تنبني على الري وعلى السـدود وعلى جمع المياه هي سياسة بتراء ولا تؤدي إلى نتيجة .

فما هي الأخطار التي تواكب عادة سنوات الجفاف؟ هناك بالطبع النقص في الإنتاج الفلاحي وفي الحبوب مثـلا . وبالنسبـة للحبوب يمكن للـدولة أن تشتريها وتبيعهـا بأثمنة منـاسبة سـواء تعلق الأمر بالشعير أو بالقمح .

ولكن هل الحاجة إلى الحبوب هي الخسارة الـوحيدة التي تلحق الفلاحين؟إن الخسارة التي تلحق الفلاحين هي من طبيعة مالية ، بحيث لا يحصلون على المدخـول الذي كانوا ينتظـرونه ، فتنقص قوتهم الشرائية ولا يجدون ما يعيلـون به أولادهم وعائلاتهم . فالمداخيل التي كانوا يعتمـدون عليها لا يحصلون عليها .

فماذا يحدث إذن ، إنهم إما أن يبدأوا ببيع أرضهم قطعة بقطعـة ، والكساب المتوسط منهم يبيع قطيعا كبيرا من ماشيته ، أما الذي ليس لديه إلا أرضا صغيرة يسترزق منها هو وعائلته ، فإنه يتخلى عن كل شيء ويهاجر إلى المدينة ليثقل كاهل سكانها .

نحن لا نـريـد أن يقع أي شيء من هـذا وإن كـان إيماني شخصيـا في اللـه وثقتي في رحمة اللـه كبيرين ، وكما يقول الحديث القدسي . . يقول الله سبحانه وتعالى في الحديث القدسي ـ مروي عن النبى ﷺ «أنا عنـد ظن عبدي بي إن كان خيرا فخير وإن كـان شرا فشر» ؛ ولا زلت أظن الخير بالله سبحـانه وتعالى قبل 15 فبراير عسى أن يسقي هذه الأرض .

كما جاء في القرآن الكـريـم ـ مرتين على الأقل ـ قـول الله سبحانه وتعـالى «كتب على نفسه الرحمة» ، والـرحمة هنـا بالنسبـة لنـا هي الماء ، فهـو « اللهم اسق عبـادك وبهيمتك وانشر رحمتك واحيي بلـدك الميت» .

رغم هذا كله ، أعتقد شخصيا أن هناك عمليات لايمكن للـدولة ان تقوم بها وحدها من الناحية الإرشادية . بالطبع مـن ناحية المال والقروض سنطلب أن يؤجل تسديـدهافي بعض الأحيان . كما أن ما يتعلق بالكلأ للماشية وبذور السنة المقبلة هو من مسؤولية الدولة .

ولكن بقيت اليـد العاملة كيف نشغلهـا ؛ ففي وقت الحصاد مثـلا كنا كما يقـولون «بـالقنديل في النهار» نبحث عن عـامل واحد وبأي ثمن كـان فلا نجـده . فهذا العـدد من العمال الفلاحين يجب أن يشتغل ويجب أن يبقى ساكنـا ومرابطا في معـاقله الفـلاحية ويجب أن لا يخرج من ناحيتـه لإثقال المدن والزيادة في اكتظاظ سكـانها . إذن يجب تشغيل هؤلاء ، ولكن ليس عن طريق المال الذي يجيء ويمشي هدرا ولا فائدة له ، بل التشغيل في ماسيبقى وفي ما سينفع الناس ؛ أي التشغيل الحقيقي الذي يترك أولا القوة الشرائية ويترك عملا ينفع وينتفع به .

إني أريد في اجتمـاعـي معكـم ـ وفقكم اللـه ـ أن أحثكم على أن تكثـروا الإجتماعات مع الحكـومة والأعضاء المعنيين في الحكـومة ، وهذه تقـارير جاءت من وزارة الفـلاحة ووزارة الداخليـة ، وكل واحد يتحدث عن الأمـوال التي رصدت للإعـلامات في هذا المجـال وعن برامج لأنشطة محليـة . وهنا يجيء



دوركم كبرلمانيين ويجيء دور إخوانكم البرلمانيين الآخرين الذين ليسوا في لجنة الفلاحة لتجتمعوا على الصعيد المحلي إما على صعيد العمالة أو صعيد الجهة أو صعيد الجماعات القروية أو مجموعة من الجماعات القروية لتنظروا مع ولاتنا والمسؤولين في الإدارة إما في الفلاحة أو الأشغال العمومية أو الداخلية أو القرض الفلاحي أو غيرها في ما يمكن أن تخلق من أنشطة عملية لا تسمى أنشطة لمحاربة البطالة بل أنشطة لتكميل الأجهزة الفلاحية السقوية الموجودة في كل ناحية. وهذا ـ أظن ـ ليس من الصعب ولا بالمستحيل.

فكيفما كان الحال، نحن جميع الفلاحين في هذا الباب سواء. المصيبة حلت بنا جميعا نحن الفلاحين ـ أقول نحن ـ لأني واحد منكم. فيتعين على المجتمع المغربي برمته أن يعرف أنه إذا كان الفلاح مريضا؛ فإن المجتمع المغربي مريض، إذن يتعين على جميع المواطنين الذين لديهم نشاط اقتصادي كيفما كان نوعه أن يعرفوا أن نشاطهم الاقتصادي أو الصناعي مرتبط ارتباطا وثيقا بالحالة الفلاحية.

لماذا؟ لأن مستهلكي بضائعنا هم سواد هذه البلاد، هم الفلاحون. فالذي ينتج الثوب حين يكون الكساد لا يبيع ثوبه. ومن ينتج الجلد إذا كان الكساد لا يبيع إنتاجه، لأن السروج لا تصنع ـ ولا أتكلم عن الذي يخيط السرج أو يعمل السلاح. وبالنسبة للدراز تنقص حفلات الأعراس وغيرها، وبالتالي، لن يكون هناك رواج لإنتاجه. وحتى الذي يقوم بإصلاح التلفزيون فنشاطه مرتبط بالقوة الشرائية للفلاح لأن التلفزيون دخل اليوم جميع البيوت؛ ويكفي أن ينظر الإنسان إلى سطوح المنازل بل حتى لبعض «النوايل» ليرى أن الهوائيات منتشرة في كل مكان.

وهكذا؛ فإن كل منتج بالمغرب وإن لم يكن منتجا في مجال الفلاحة هو مرتبط بالقوة الشرائية للفلاح. كما أن رأس المال الكبير الذي لا قيمة له ـ لأنه فوق كل قيمة ـ هو أن يبقى كل ذي شغل في محل شغله وألا يتراكم المدني على البدوي وأن يبقى المجتمع ـ ولله الحمد ـ صابرا صبر المؤمن ـ وليس صبر المستسلم ـ قانعا بما أتاه الله وقانعا بما يمكن أن يتوصل به من أجهزة الدولة الرسمية وشبه الرسمية.

فإذن؛ أنا أدعوكم على جميع المستويات المحلية في المغرب، ومن الآن، أن تجتمعوا بموظفينا وولاتنا من جميع الوزارات المختصة والتي لها صلة بالفلاحة، ونحاول أن لا ننظر فقط في كيفية توزيع الشعير أو القمح أو العلف، وفي ماذا سيعمل في مجال القروض وتأجيل تسديدها؛ بل أن ننظر كذلك في وسائل تشغيل اليد العاملة التي كانت تذهب للحصاد.

وإذا كان هناك مال سيعطى، يجب أن يعطى لكي تحفر «الخطاطر» وأنا عندي تجربة مهمة في «الخطاطر» بناحية مراكش. فقد كانت هناك بعض أراضي لا يصلها الماء نهائيا. ومع الأسف «الخطارة» لن يعودوا موجودين رغم أن «الخطاطر» موجودة عندنا في المغرب كله وليس في هذه الناحية فقط... ولما وجدت إثنين من «الخطاطرية» ممتازين، بدأ الماء منذ أربع سنوات يجري في الساقية الخاصة بي رغم عدم هطول الأمطار. إذن، فالمسألة مسألة «خطاطرية» ومسألة معلمين. وجربوا. «فمن الواد الصغير يحمل الواد» وإياكم أن تستصغروا أي عمل، فكل عمل صغير تضاف له أعمال صغيرة يعطي نتائج كبيرة. ويجب أن نكون في مستوى ذلك الفلاح الصغير ونعتبر أن مشكلته هي مشكلتنا، لأننا نحن يمكن أن نرى في مشكلة الفلاح الصغير مجرد مشكلة صغيرة، ولكن بالنسبة له هو فهي مشكلة المشاكل. فإذن ـ الله سبحانه وتعالى ـ سيعطينا المطر لأنه «هو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا



وينشر رحمته». ولكن علينا كذلك أن لا نترك الناس ييأسون، كل واحد منافي ميدان إمكاناته وفي ميدان مسؤولياته.

فعليكم بالحوار ثم الحوار؛ وعليكم بالعمل المشترك، بقطع النظر عن التيارات السياسية والنقابية. أنتم جميعكم ـ أبناء هذه الأرض التي لم تعرف الماء اللازم لريها وهي تناديكم وتناشدكم ـ وهي التي أطعمتكم سنين ـ أن تخدموها أكثر بأقصى جهدكم في هذا الظرف، لأن هذه الأرض محتاجة إليكم. والسلام عليكم ورحمة الله.

إثر ذلك تدخل ثلاثة نواب أعضاء باللجنة فعبروا عن اعتزازهم بالمقابلة التي خصهم بها صاحب الجلالة الذي هو (على دراية بواقع البلاد أكثر من أي أحد).

وأكدوا أن عملية جلب الحبوب وكلأ الماشية عملية سهلة ستمكن صغار وكبار الفلاحين من التوفر على الكلأ اللازم.

وذكر المتدخلون بفترة الجفاف التي شهدها المغرب سابقا والتي كان فيها مع ذلك المحصول الزراعي جيدا، مشيرين إلى أن وضعية الماشية هي حتى الآن وضعية حسنة، ذلك أن شهر أكتوبر الماضي عرف بعض التساقطات المطرية. وقالوا إن الماشية تحتاج إلى التغذية مستقبلا إذا لم تتساقط الأمطار.

ثم خاطب جلالته، من جديد، أعضاء اللجنة بكلمة قال فيها:

«أشكركم كثيرا على تدخلاتكم، وأقول لكم أنني أولا إنسان متفائل وكنت دائما أقولها، وكنت أخشى أن أكون وحدي متفائلا، ولكن لست ـ والحمد لله ـ وحدي متفائلا.

وأريد أن أقول أمرين؛ الأول هو أنه لا بأس من أن نستكمل الاجتماع الذي عقدناه اليوم ـ فيما بعد ـ في البرلمان في لجنة الفلاحة مع الوزراء أو رؤساء المصالح المختصة وهم موجودون معنا هنا. وبهذه المناسبة، هناك شخص لا ترونه كثيرا وأنا كذلك لا أراه كثيرا ولكن عمله متواصل ومتواضع.

وباتصال مباشر معكم ألا وهو السيد الحداوي رئيس صندوق القرض الفلاحي ـ جزاه الله خيرا ـ على ما يعمل وأزيد من تشجيعاتي له لكي يزيد من عمله.

والأمر الثاني الذي أريد أن أقوله لكم هو بشرى بالنسبة لكم ـ أنتم أناس الفلاحة ـ فكما قررنا خوصصة عدة مؤسسات كانت بين أيدي الدولة.

والآن قررنا خوصصة شركة «كوماكري» التي لها على ما أعتقد ما بين 7000 و9000 هكتار في المغرب كله. وفي القريب ـ إن شاء الله ـ بعد تقويمنا لها وهو ما نحن بصدده الآن ستكف الدولة عن نشاطها في ميدان الفلاحة وتربية المواشي.

ويكفي ان تكونوا في المستوى ـ كل حسب الجهة التي هو فيها ـ وهيؤوا المال والعقول والرجال الذين سيأخذون هذه الأراضي وستكون الدولة سعيدة جدا وهي تأخذ من نفسها وتعطيكم أنتم. علما مني وأنا واثق من ذلك، أن الفلاح الذي سيعمل في هذه الأراضي سيعطي نتائج أحسن بكثير مما كانت تعطيه الإدارة، شريطة أن يكون فلاحونا في المستوى، ولكن أنا مطمئن، وأعلم بأنكم في المستوى.

لذا، فابتداء من شهر أبريل سترجع لكم هذه الأراضي، فبرهنوا عن كفاءتكم ومقدرتكم خلال الموسم الفلاحي المقبل إن شاء الله».

6 شعبان 1412هـ ـ 11 فبراير 1992م